ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

الصبر الصيني والسجاد الإيراني ورقعة الشطرنج في الساحة الاقليمية

د. عبدالله يوسف سهر

بفضل استراتيجية الصبر الاستراتيجي التي طورتها الصين من جذور ثقافتها الحضارية منذ القدم، عبورا بحربي "الافيون" ضد البريطانيين في القرن التاسع عشر ووصولا الى استعادة جزيرة هونغ كونغ بعد اتفاقية ال ٩٩ عاما بعدما فرضها المستعمر البريطاني في عام ١٨٩٨، بلغت الصين مرتبتها الدولية الحالية على سلم القوى الدولي وهي حالياً تشتق طريقها الى قيادة العالم. الإيرانيون كذلك يمتهنون استراتيجية الصبر التي لا تنفك عن الثقافة الفارسية القديمة. وتجسيدا لتلك الثقافة، ينقل أن أحدهم سأل الرئيس الإيراني الراحل هاشمي رفسنجاني عن الأسباب التي دعت دولته لإطالة أمد الحرب مع العراق خاصة وان أيران لم تحصل على انتصار حقيقي! فكان رد رفسنجاني دبلوماسيا عميقا مختلجا بالفكاهة والدهاء حيث قال: إننا نمكث عشرات السنين من اجل صناعة سجادة واحدة، وتريد منا أن ننتهي من الحرب بأقل من هذه المدة!!

الصبر الصيني تمثل في القدرة على امتصاص الضربة من الخصم وتحويلها من وضعية الانصياع الى تكتيكات المماحكة ثم النفوذ. من جهة أخرى، نجد بأن الصبر الصيني قائم على فلسفة "الينغ- يانغ" التي يمتد عمرها لأكثر من ٣٥٠٠ سنة وتفترض بأن الكون يتضمن ازدواجية متناقضة ولكنها متكاملة في نفس الوقت، فالنهار يتناقض مع الليل ولكنها متكاملان لصيرورة توالي الزمن، والسلب والايجاب متناقضان ولكنهما متكاملان من أجل اشعال الضوء، وهكذا. كما يعتقد بأن فنون الكونغ فو القتالية تعود الى أفكار أحد الرهبان البوذيين الذي طورها من خلال التوازن بين الانضباط الداخلي للإنسان والقدرة على التصدي، فهي تقوم على ثنائية التكامل البشري بين "الكونغ" التي تعني الإنجاز "والفو" والتي تعني الرجل. ولا شك أن ذلك جمع فلسفي عميق بين عقيدة التسامي الدينية والعنف الدفاعي المبرر، وبين الزخارف والتعابير الفنية التي يشتهر بها الصينيون وبين فنون القتال. لذلك، يبدو البرود الصيني في المماحكة الدبلوماسية وردود الأفعال متكاملا مع الإصرار على الإنجاز السريع.

الصينيون يعتقدون بأنهم دولة كبيرة ومميزة بل هي مركز الكون وقد استهدفت من دول اصغر منها وفرض سيطرة غير مبررة عليها كمن قبيل الاستهداف الياباني المتكرر واحتلال أراضي منها لفترات طويلة، علاوة على الغزوات البريطانية – الفرنسية في القرن التاسع عشر التي لا تزال محفورة في ذاكرة التاريخ الصيني العريق كوصمة عار لابد من محوها بأكبر منها.

الإيرانيون هم كذلك أيضا، لا تنفك سياستهم عن ثقافتهم القديمة منذ الملك قوروش الذي حكم بلاد فارس ما بين ٥٦٠-٥٢٩ قبل الميلاد. يقول أحد أهم المتخصصين في السياسة الخارجية الإيرانية وهو روح الله رمضاني الأمريكي الجنسية والإيراني الأصل واستاذ العلاقات الدولية في جامعة فرجينيا إن الامبراطور قورش الاول أقام دعائم استراتيجيته على أسس الواقعية التي تفترض حسن توظيف قواعد التوازن. ويستعرض رمضاني السياسة الخارجية الإيرانية منذ ذلك التاريخ عبر العصور الساسانية والصفوية والقاجارية والبهلوية وصولا الى النظام الجمهوري الحالي في ايران

ويستخلص منه ان تلك الثنائية الممزوجة بين الواقعية والتوازن لا تزال تمثل النكهة الأساسية في السياسة الخارجية الإيرانية. من هذه الثنائية يؤسس الإيرانيون سياستهم من حيث التوازن بين واقعية المصالح الوطنية ومثالية الشعارات الإسلامية، وبين الاهتمام بالداخل وعدم اهمال الخارج، وبين صناعة الفنون الزخرفية والتصاوير الرقيقة على السجاد الفاخر وبين عنف المصارعة الايرانية. الإيرانيون كالصينيون يعتبرون انهم وقعوا تحت نير الاستهداف الخارجي من قبيل الغزو المنغولي والأفغاني والروسي والعثماني والبريطاني والعراقي "الصدامي" الى الأمريكي في الوقت الراهن.

اذن هناك مساحات تاريخية وثقافية وسياسية تتقاطع ما بين الصين وايران، بل وحتى بالشعار تجد أن الصين تستخدم التنين الأسطوري بينما تستخدم ايران الأسد الخرافي، وهكذا تكون الشمس ذات دلالة تراثية لدي الثقافتين. التنين الصيني والأسد الإيراني، ومن خلال الاتفاقية التي ابرمها كلا الطرفين مؤخرا يبدو بأنهما عازمان على بسط طلوع شمس جديدة مع بداية أفول القمر الأمريكي، وذلك من خلال توظيف استراتيجية الصبر والتوازن التي اتفقا عليها تاريخيا بعلاقاتهما السياسية مع الآخر.

لعل هذا المقاربة التاريخية – الثقافية الموجزة تلقي بشيء من الضوء على العلاقة الصينية – الإيرانية المستقبلية التي في اعتقادي انها قد نقلت علاقتهما التقليدية الى الاستراتيجية.

فالاتفاقية الموقعة مؤخرا، والتي لا يزال جزء منها في طي الكتمان ليست ذات طبيعة اقتصادية بحتة، فنباء مجمعات ومصانع أسلحة وتبادل معلومات استخباراتية واجراء مناورات وتدريبات عسكرية مشتركة ليست ذات علاقة بمسار الصيني في مشروع الحزام والطريق، بل هو اكثر من ذلك. وأدل على ذلك السلوك الأمريكي الأخير الذي اخذ يراود البيت الأبيض وبعض الدوائر البحثية والاستراتيجية الأمريكية التي استشعرت إن المصالح الأمريكية بالمنطقة تقف على حافة تقاطع جديد يتعين بموجبه أن تكون لمخالب النسر الأمريكي حظ "بفريسته"، والليبب يفهم الإشارة!

المشهد الاستراتيجي القادم بالمنطقة "صعب جدا" وهذا ما يتعين على دول الخليج أن تستوعبه وتتعامل معه وفقاً لاستراتيجية جديدة قوامها الصبر والتضحية خاصة في ضوء المستجدات السياسية الإقليمية والدولية القائمة.

فدخول الصين على المشهد الشرق أوسطي والخليجي على النحو المشهود، لا يخلو من تغييرات جوهرية ستحل على معطيات جدلية القوة والمصلحة التي تحكم علاقات الدول. كما أن المفاوضات الأوربية الامريكية مع ايران فيما يتعلق بالملف النووي للأخيرة ينبأ بتحولات سياسية سترمي بظلالها على ميزان القوى بالمنطقة وبما يخدم الجانب الإيراني أكثر مما هو لصالح الدول الخليجية.

ومن جانب آخر، فالمواجهات الإيرانية الإسرائيلية الباردة – الساخنة سيتولد منها مربع لعلاقات تنافر وتجاذب جديدة ليست لصالح الكيان الصهيوني في ظل المعادلة الصفرية التي تحكم العلاقة بين الطرفين.

وعليه، سيحاول الكيان الصهيوني أن يورط أطراف ثالثة في هذه المواجهة ومنها الولايات المتحدة الامريكية وبعض دول الخليج. وواشنطن في عهد الرئيس بايدن منتبهة جداً الى تلك الورطة (predicament) التي ستسبب معضلة (Dilemma) سياسية لها في المستقبل المنظور، ولذلك فهي تسعى جاهدة لحلحلة الخلاف مع طهران بسرعة قبل انفجار الموقف.

فمن جهة تدرك الولايات المتحدة الامريكية أن إطالة أمد الحصار على إيران لم يعد نافعاً في الضغط على الأخيرة بشكل سلبي خاصة في ضوء علاقتها المتصاعدة مع الصين مما يفتح المجال لاحتمال دخول طهران إلى نادي الدول النووية، في حال الاستمرار في زيادة تخصيب اليورانيوم، وحينها لن يكون أي حل عسكري مجدياً. ومن جهة أخرى، تشير الدلائل بأن إدارة بايدن تدرك أن أية مواجهة عسكرية بين إيران وإسرائيل ستجعلها في موقع حرج لا تتحمل عواقبها السياسية في الداخل الامريكي إن لم تضطلع لصالح الكيان الصهيوني وفي نفس الوقت ليس لديها الاستعداد للمجازفة العسكرية لكونها قد تتحمل الحصة الأعظم من الخسائر المحتملة. وهذه المعضلة هي التي تفسر التوجه لتسريع عجلة المفاوضات في فينا لكي يعود الاتفاق كما كان.

وإيران من جانبها تدرك جيدا تلك المعضلة الامريكية وهو ما يجعلها "تتلكأ" وتتراوح مواقفها بين الشد والجذب إزاء تلك المفاوضات.

وفي ظل مشهد المسرح السياسي القائم، نجد بأن جميع اللاعبين (أمريكا، الصين، ايران، الاوربيين، إسرائيل) قد حددت أهدافها القريبة والبعيدة المدى وبنت مواقفها وفقاً لذلك فيما عدا الدول الخليجية التي غدت تتعامل مع الوضع كمشاهد فقط بينما هي المعنية بالدرجة الأولى لكون محددات ومجريات هذا المسرح تتعلق بالأساس بأمنها القومي بشكل مباشر.

ولعل المملكة العربية السعودية قد أوجست تلك الحالة فدعت لشمولها في المفاوضات التي تجري في فيينا والمتعلقة بالملف النووي الإيراني حتى يمكنها التموضع في معادلة المصالح، بيد أن جميع الجالسين على طاولة المفاوضات لم يكترثوا بل مانعوا تلك المشاركة.

فما هو الحل أو المخرج الذي يمكن لدول الخليج الفارسي أن تسلكه لكي تدخل في معادلات المسرح الاستراتيجي القائم؟

ليس سهلا إيجاد سبيل ميسرا في التأثير على حركة رقعة الشطرنج، ولكن ثمة عدة مسارات يمكن ان تضاعف فرص الدول الخليجية لتصميم خصال جدائل المصالح والقوة المتدلية على أكتافهم.

أولا، اعتقد بأن دول الخليج يمكن لها أن تتعامل مع الصين من خلال كتلة مجلس التعاون وليس بشكل منفصل. فالاتفاقيات والتفاهمات التي تمت انفرادياً والأخرى التي ستتم مع الصين يتعين ان تكون من خلال كتلة واحدة من أجل أن تشعر كل من بكين وواشنطن معاً بتغيير جديد في الموقف السياسي يضفي رقماً جديداً على المعادلة القائمة بما يستوجب بإعادة حساباتهما. إن استراتيجية "التغيير المفاجئ" هي التي تجعل الخصوم والأصدقاء معاً يلتفتون بشكل أكثر جدية لأي طرف مما يستدعي شموله في أي معادلة قائمة. وبناء عليه، عن كانت دول مجلس التعاون الخليجي تعتبر التفاوض الجماعي مع الكتل والدول الأخرى خياراً في يوم من الأيام فهو في الوضع الراهن يعتبر "اتجاه جبري" من اجل صيانة امنهم القومي في المرحلة القادمة قبل فوات الأوان.

ثانيا، يتعين على دول الخليج الفارسي أن تمنع الكيان الصهيوني اقحامها في ملف مواجهته مع ايران، من خلال استغلال الخلافات الخليجية الإيرانية. إن طبيعة الخلافات الخليجية الإيرانية، على الرغم من جديتها، إلا إنها مختلفة تماماً عما هي عليه بين إيران وإسرائيل، وعليه يتعين الفصل بينهما لكون المستفيد الأول من ذلك الدمج هو الكيان الصهيوني الذي يسعى جاهداً لتوريط دول الخليج وإيران لمواجهة عسكرية مباشرة تكون بعيدة عنه، وفي ذات الوقت لتوسيع مساحة المواجهة وتعقيدها وإبعاد الجوانب الأيديولوجية والحضارية والاستراتيجية عنها.

ثالثاً، لقد جاء الوقت الملح بفتح باب حوار مباشر بين كل من السعودية وإيران عبر الكويت بصفتها وسيطاً مقبولاً ولما تكتنزه من تراث سياسي في ممارسة دور الوسيط الإيجابي للتفاوض. فعلى الرغم من الأخبار المتداولة التي تفيد بمثل هذه اللقاءات التفاوضية قد تمت في بغداد إلا إن الأخيرة تظل محدودة في بيئة "معقدة" سياسياً وطائفياً وخارجياً تجعل من عملية نجاح التفاوض امراً صعباً.

على أي حال، دول المنطقة جميعها سواء تلك التي في إطار مجلس التعاون أم خارجه ستدفع أثمان متفاوتة في حال عدم تمكنها من تجسير الفجوات القائمة بينها وتغيير مسارها السياسي الى اتجاهات أخرى خارج الصندوق التقليدي بحيث تعود عليها بالمنفعة الاستراتيجية في مخاض دولي واقليمي قادم لا محال.

الانتخابات السورية ٢٠٢١ موعد مع القرارات الصعبة

عبير بسام

فترة بسيطة باتت تفصلنا عن موعد الانتخابات الرئاسية في سوريا، والتي ستجري في ٢٦ أيار. ومنذ أن أعلن عن فتح باب الترشيح انهالت الاتهامات المعارضة والغربية بعدم شرعية الانتخابات، وهي اتهامات تعكس تخوفاً ليس فقط من ضياع السلطة من بين أيديهم، بل تخوفا من عواقب نهاية الحرب على سوريا، وإعلان فشل آخر المحاولات اليائسة في تحطيم هذا البلد الحرّ. وستبدأ المرحلة القادمة من الإعمار، والعمل على إنهاء الاحتلالين الأميركي والتركي، وسيخرج جميع المعتدين بصفر مكاسب. ومن هنا يمكننا أن نفهم الدفع نحو التشكيك بشرعية الانتخابات، وعرقلة إنهاء الملفات العالقة خلال الفترة الرئاسية القادمة، والتي يفترض أن تشهد عودة الحياة الطبيعية لبلد اجتمع العالم على كسر الإرادة الحرّة فيه.

الوقائع الميدانية المتلازمة من سوريا إلى لبنان إلى اليمن إلى إيران تشير إلى ذلك. إنه عصر انتصار المقاومات الممتد منذ العام ١٩٤٨ للمد الإمبريالي- الصهيوني العالمي. فبعد انتصار العام ٢٠٠٠، ازدادت شدة الضغوط على سوريا وبانت معالم الخطر الأميركي المباشر مع إعلان جورج بوش الابن حربه على الإرهاب في العام ٢٠٠١. واشتد الحصار على سوريا بعد أن خرجت من لبنان في العام ٢٠٠٥. في تلك المرحلة كان يظن أن أنصار المحور الإمبريالي- الصهيوني أن وقتهم قد حان. ولكن في الحقيقة منذ أن ابتدأت معركة التصدي السوري العلني للضغوط الأميركية- الصهيونية في العام ٢٠٠٠ فإنّ نهاية المحور المعادي كانت تسطر خطوطها.

من هنا، ستترافق انتخابات ٢٠٢١ مع مجموعة من النقاط الرئيسية التي يحاول الأميركيون التركيز عليها، وأولها إعلان أن الانتخابات في سوريا هي غير شرعية والادعاء بعدم نزاهتها عبر التمنع عن إرسال مراقبين دوليين، لأنهم يعلمون أن فوز الأسد محتم على الرغم من عدم قدرة قسم من الشعب السوري الذي يعيش في الاغتراب على الانتخاب، مع العلم أن السوريين منعوا من الوصول إلى سفارات بلادهم في العام ٢٠١٥ عبر التهديدات التي تلقوها بالتسفير وفقدانهم حق اللجوء الإنساني في دول التهجير.

عرقلة الانتخابات، بحسب الدستور السوري الحالي، شهدت معركة دولية خلال العام الماضي من خلال إعادة إحياء وتفعيل اللجنة الدستورية في جنيف من أجل وضع دستور جديد للبلاد، اذ لم يعد خافياً على أحد ما المطلب الأميركي والتحالف الغربي- العبري على حد سواء، ألا وهو تغيير نظام الحكم في سوريا، أسوة بالدول العربية الأخرى. وهو لا يتعلق فقط بتغيير شخص الرئيس بل في تركيبة الدولة وتحويل النظام في سوريا من نظام رئاسي قوي إلى نظام برلماني، تحدد فيه صلاحيات الرئيس وتتجاذبه القوى الممثلة فيه، بدلاً من القيام بدورها الرئيسي في مراقبة عمل الحكومة وسن أو تجديد القوانين الناظمة، أي ببساطة تقويض صلاحيات رئيس الجمهورية: رأس الدولة.

بعد وباء الربيع «العبري»، تحولت أغلبية الأنظمة العربية إلى دول تتصارع فيها القوى وتتعدد فيها الرؤوس المتصارعة المتخمة بالفساد، التي تجاذبت القرارات المصيرية فيها، ووضعتها في إطار أقليات وأكثريات تفتقد إلى المشاريع الوطنية والتي تكون عماد النهوض بالدولة. لا شك أن سوريا تخرج اليوم من حرب مرّ عليها عقد كامل، وكما أيّة دولة، فهي تدخل اليوم في صراع مع الفساد بعد انتشار تجار وسماسرة الحرب فيها، ولذا فهي بحاجة إلى قرار مركزي أكثر من أي وقت مضى. وللاستدلال يمكننا قراءة ما يحدث في لبنان أو الجزائر أو تونس أو السودان وغيرها من الدول العربية.

تعتبر المرحلة القادمة، مرحلة أساسية في عمر الدولة السورية، فعلى عاتقها تقع معالجة ملفات ضخمة ومنها استعادة باقي أراضيها المحتلة، اذ إنّ سوريا تقف اليوم في مواجهة أهداف وأطماع الولايات المتحدة و«اسرائيل» اضافة الى المطامع التركية. اذ انتهت حرب الوكلاء لتبدأ الحرب بالأصالة. فسوريا في شمالها الشرقي وفي معظم أراضي محافظة ادلب وبعض من ريف حلب، لم تعد أزمتها مع مجموعات إرهابية بل هي مع دولتين منضويتين تحت جناح الأمم المتحدة، وكلاهما تسعيان لتثبيت احتلالهما على أجزاء من الأراضي السورية، أي أنّ سوريا اليوم في مواجهة مع ثلاثة احتلالات ولها حق المقاومة بموجب القانون الدولي.

كما تأخذ عملية الإعمار حيزاً كبيراً في المرحلة القادمة، وتعد من الأقسى على سوريا، وخاصة في ظل الحصار المفروض بموجب قانون قيصر الشهير، وتحاول سوريا التغلب على نتائجه، التي انعكست غلاء في الأسعار ونقصًا في المواد الطبية والغذائية، خاصة بعد نهب حقول القمح والقطن أو حرقها وسرقة الصوامع، وتدمير البنى التحتية. هذا التدمير الممنهج للاقتصاد السوري الذي يعتمد على تصنيع معظم منتجاته، ليس إلّا جزءاً من سياسة الحصار على الشعب العربي السوري، وكان المطلوب منه انقلاب الناس على الرئيس الأسد من خلال معارك الغلاء. معركةٌ أُريد منها صرف نظر الناس عن إنجازات الجيش العربي السوري في معركة التحرير، وتوجيه الأنظار نحو النقص الحاد في المواد الاستهلاكية والوقود وانخفاض سعر الليرة.

معركة التجويع، هي من أخطر المعارك، خبرتها منطقة بلاد الشام، وما تزال المجاعات التي انتشرت في العام ١٩١٤، حية في ذاكرة السوريين، والتي ترافقت مع هجوم الجراد، والأمراض الفتاكة والأوبئة، من الكوليرا والإنفلونزا الإسبانية. وكأنّ التاريخ يعيد نفسه! حيث تتقاطع المشاهد في بلاد الشام مع مشاهد خبرتها المنطقة إبان الحرب العالمية الأولى حيث اشتد حصار الحلفاء، وسرقة محاصيل الفلاحين والتي ترافقت مع مجازر لا تختلف كثيراً عن المجازر التي ارتكبتها المجموعات الإرهابية المدعومة من قبل الأتراك والأميركيين مستخدمين التفجيرات الانتحارية الإرهابية وحرق الأسرى وتقطيع الأجساد وأكل القلوب، وحتى المجازر التي ارتكبها الأميركيون بشكل مباشر في قصف الرقة، ٢٠١٧، أو في قصف سوق دير الزور، ٢٠١٨.

لا يقع إحياء الملف الكيماوي ضد سوريا خارج نطاق الضغط الممنهج، الذي تأمل من ورائه أمريكا بعرقلة الانتخابات، أو التلويح بعقوبات جديدة، أو حتى التمهيد لشن عدوان جديد. ولكن أخطر ما تواجهه سوريا اليوم هي المحاولات الأميركية في إعادة تنشيط المجموعات الإرهابية، خاصة بعد ما كشف عن إعادة ترتيب غرفة «الموك» أي مركز العمليات العسكرية في الأردن، وشهدت الشهور الستة الاخيرة تصاعد العمليات الإرهابية ضد عناصر الجيش العربي السوري، وضبط وحدات الهندسة في الجيش السوري تهريب أجهزة تفجير عن بعد كانت في طريقها إلى درعا، بحسب وكالة سانا يوم الأحد ٤/٢٥، ليس إلا دليلاً آخر على عودة نشاط هذه الغرفة وغيرها من الغرف التي تحاول إعادة تفجير الوضع في سوريا قبيل الانتخابات.

في ظل هذه الحرب، يأتي الضغط الأميركي ممنهجاً مع إعلان ديفيد براونشتاين بأن واشنطن ستدعم «الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا» أي «قسد»، والتي تمثل بحسب تصريح قائد القيادة المركزية الأمريكية الجنرال كينيث ماكنزي: قوات سوريا الديمقراطية (قسد) «شريك مهم جدا لنا وهي تقوم بحماية جنودنا»، أي أن الأميركيين يوحون بتمسكهم باحتلال شرق الفرات إلى أجل غير محدد.

يجهد الأميركيون والأوروبيون للتشكيك بشرعية الانتخابات السورية وبشرعية الرئيس الأسد. ويعلم هؤلاء أن القرار الدولي قد خرج من أيديهم إلى الأبد، خاصة وأن صمود سوريا هو صمود محور قائم بالتأكيد، شكل هذا البلد نواته. وحمل هذا الصمود معه تغيير الأدوار عالمياً، ابتداء بصعود دول البريكس وانتهاء بتعاظم الدور الصيني والروسي في العالم. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فقد أنهكت سلسلة الحروب الممتدة من العام ٢٠٠١ على منطقة الشرق الأوسط وغرب آسيا الأميركيين ومن معهم. ولذا فإن إعلان البرلمان الأوروبي أن روسيا هي دولة أوروبية بامتياز ليس إلا شاهداً على بداية فرط عقد القوة الأميركية. ولكن عندما يتعلق الأمر بسوريا فهذا التناقض بالأدوار يمكن أن يبقى حجر عثرة في المرحلة القادمة، وما تعطيل إرسال مراقبين دوليين من الأمم المتحدة إلا سلسلة من محاولات التحالف الغربي المستمرة للتشكيك بشرعية الانتخابات في سوريا. وهو في الحقيقة أمر لن يقف أمامه السوريون وستستمر عملية الانتخابات السورية في وقتها المحدد.

سلطة رام الله استسلمت كليا ولم اشعر بالإهانة في حياتي مثلما اشعر اليوم

بسام ابو شريف

– نحن ننتظر موافقة اسرائيل على اجراء الانتخابات في القدس الشرقية .

– وننتظر من الاوروبيين ردا، فقد وعدونا بالتحدث مع اسرائيل حول اعطاء موافقة على اجراء الانتخابات .

– نقول اننا ننتظر، وسنؤجل الانتخابات اذا لم توافق اسرائيل لأننا لن نجري انتخابات بدون القدس .

– وبما أننا لم نستلم رد اسرائيل لأنها أبلغتنا بأنها مشغولة بتشكيل الحكومة ولا تستطيع الرد قبل تشكيل الحكومة، فاننا نؤجل الانتخابات .

لم أشعر خلال حياتي الكفاحية التي امتدت من العام ١٩٦٤ حتى اليوم باهانة كفلسطيني كما شعرت مع الكلام الذي صدر في البيان رقم واحد، فهذا البيان يعلن استسلام المقاطعة كليا للقرار الذي يتخذه الغاصب والمحتل، ففي الوقت الذي لايجد فيه نتنياهو الوقت للرد يجد الوقت الكافي لاعطاء التعليمات للمستوطنين المسلحين " جنود "، وقوات الاحتلال بمصادرة مباني العرب في الشيخ جراح، ومصادرة أراضي الأغوار، وتوسيع المستوطنات، ومنع المصلين من الدخول للأقصى، واعتقال أكثر من الف فلسطيني من أعمار مختلفة منذ بداية رمضان .

ليس هذا فحسب، فنتنياهو الذي لاوقت لديه للرد على استرحام المقاطعة حول انتخابات القدس بينما يجد وقتا مفتوحا للتوسع، ونهب أملاك الفلسطينيين ليس الوحيد المشغول بالشيخ جراح وسلوان، والعيسوية، فالمقاطعة مشغولة بصياغة رسالة الاسترحام، وانتظار الرد لذلك لم تجد وقتا لاثارة استيلاء الاحتلال على أملاك الفلسطينيين في القدس في مجلس الأمن مثلا، ولا نريد أن نقول أن تقرر السلطة دعم هبة القدس بشأن الأقصى، والشيخ جراح، وسلوان والعيسوية، وقلنديا من أموال الشعب التي درجت العادة أن تفقد جزء منها على " الطريق " ونستطيع هنا أن نكتب صفحات حول شرعية التأجيل للاستحقاق الانتخابي، أو عدم شرعيته وحول عدم شرعية اتحاد المقاطعة لهكذا قرارات، والتي ستعود الى عدم شرعية المقاطعة كلها بعد تزوير الارادات، ومصادرة الحقوق، والغاء المحاكم والقضاة، ومركزة القرار الأمني، والمالي، والسياسي، والجغرافي، والاقتصادي، والعائلي، والاجتماعي بيد حارس المقاطعة وأعوانه لتقطع الأرزاق مزاجيا، وتحول الأموال لحسابات فرعية مموهة، ولا يسمح لوزارة المالية الا أن تكون اما أداة قمع، ومنع، وقطع للأرزاق، أو صراف لدى موظفي مكتب حارس المقاطعة – والذين (كما نقل ولا أدري ان كان صحيحا)، أعطيت لهم صلاحيات صرف السيارات، وتوقيع أوامر الصرف، وتحويل أموال للحسابات المموهة فقد أنشأوا حسبما نقل بعض الذين يزورون المقاطعة وزارة مالية ثانية في المقاطعة تستلم المداخيل، وتوزعها حسبما تشاء، وتعطي للصراف " وزارة المالية "، ما يكفي لتلبية المتطلبات الشهرية، وكما سمعنا فقد خصصت هذه الوزارة لكل عضو قيادة يصوت الى جانب ما يريده حارس المقاطعة مبلغا معينا – لدعم أوضاعه التي يمكن أن نصفها بحالة " خط الفقر "، واذا لم تصدقوا اسألوا عن الوضع المالي لكل وزير، ولكل عضو لجنة تنفيذية، وكم سيارة له ولعائلته، واذا تجرأتم اسألوا عن أرصدتهم، واسألوا من أين لك هذا ؟

لم ينتظر شباب القدس : المرابطون تحرك المقاطعة لمواجهة الحملة العنصرية الهمجية التي شنتها قوات جيش الاحتلال، وشرطته المسلحة، والجنود الذين لبسوا ثيابا مدنية، وحملوا السلاح ليبطشوا بالمصلين المتوجهين للأقصى .... كانوا يعلمون بأن المقاطعة " مشغولة "، بالترتيب لرسائل استرحام حول تصويت أهل القدس في الانتخابات، ولذلك بادروا ليظهروا للمقاطعة، وللعالم أن شعبنا لا تمثله المقاطعة في مواقفها المتخاذلة، والراضخة للاحتلال المقاطعة تظن أن انهاء الاحتلال يتم بان يتصرف تجاه المحتل بأدب وتهذيب كتلميذ مدرسة خاصة ألا ترفع صوتك، والا تمسك بحجروأن ترد على صفعات العدو بادارة خدك الأيسر !!

كلا هذا ليس نهج الذي يريد الحرية، والخلاص من الاستعمار الصهيوني، فهل فهمت المنظمات ؟ وهل فهمت كوادر فتح ؟، وهل فهمت قيادات فتح ؟

نهج المقاطعة يدمر ارادة التخلص من الاحتلال، ويبشر بالأنكل سام ليحمل لنا فتات الحرية وبقايا عهد الاستعمار، أنكل سام المنتظر هو أسوأ من الاونروا أما النهج الآخر، فهو نهج شباب القدس، وشباب فلسطين الذين يرون في صلابة، ونضال، وكفاح أبناء شعبنا في اليمن نموذجا يجب أن نحذو حذوه، ان أبطالنا في اليمن يتصدون لاميركا، وبريطانيا، واسرائيل والأنظمة العميلة لواشنطن، وتل ابيب، وهي نفس الأنظمة التي تقف الى جانب اسرائيل ضدنا، وضد حقنا في الحرية والاستقلال، انهم يستثمرون مال الامة العربية في اسرائيل لقتل أبناء الامة .

لا يوجد أمام النهج النضالي، ومقاومة الشعب أبوابا مغلقة، بل كلها مفتوحة ... كلها باب العامود، وعلينا أن نعلم أن الخوف، والشعور بالعجز قد استوطن في قلوب أصحاب القرار (رغم عدم شرعية اتخاذ القرار)، وهؤلاء الذين يخشون مواجهة العدو، ويخشون من الكفاح لا مكان لهم على رأس شعب بذل، ويبذل الغالي والدم والجسد ثمنا لحريته، واستقلاله .... نهجان لا نهج واحد .... فكيف نتحدث عن صفقات مشتركة .

ان كل الكلام الذي تعهد به أصحاب نهج رفض المقاومة، واستبداله بنهج التنسيق فقاقيع هواء لا تستخدم الا للخداع، ومن أراد أن يستعيد ثقة الشعب به عليه أن يترجم عمليا مايقوله لفظيا ومواجهة العدو، والتصدي له ليس بالضرورة أن يتخذ شكلا صاروخيا، على العكس تماما التصدي للعدو ان أردنا نجاحا يجب أن يتم من مسافة متر، أو أقل، وهكذا نحيد صواريخه وطيرانه، ونواجهه وجها لوجه، انها استراتيجية " باب العامود "، فمن يريد أن يقود عليه أن ينتهج هذه الخطة، وأن يواجه العدو في كل مكان، ومن مسافة متر الى متر .... من الصفر الى المتر ..... عكذا علمنا باب العامود .